فلانة فقال النبي صلى الله وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول
الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت
ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت
هذه الاية ونزل في الذي لم يتفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في
المجالس فافسحوا وقال مقاتل لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله
الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد
غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره
وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبر به رب السموات فاتى جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا
فاقروا فانزل الله عز وجل هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب
والتكاثر بالاموال والازرا بالفقرا فان قيل هذه الاية تدل على عدم اعتبار
النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفا وشرعا حتى لا يجوز تزوج الشريفة
بالنبطي فالجواب اذا جا الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا وذلك في الحس
والشرع والعرف اما الحس فان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس وجناح
الذباب دوي ولا يسمع عندما يكون رعد قوي واما العرف فلان من جاء غلام
ملك اقبل عليه واكرمه فاذا جامع الملك لا يبقى له اعتبار ولا يلتفت اليه
واذا علم هذا ففي الشرع كذلك اذا جا الشرف الديني الالهي لا يبقى لامر هناك
اعتبار لا للنسب ولا للسبب الا ترى ان الكافر وان كان من اعلا الناس نسبا
والمومن وان كان من ادونهم نسبا لا يقاس احدهما بالاخر وكذلك ما هو الديني
مع غيره ولهذا تصلح المناصب الدينية كالقضا والشهادة لكل شريف ووضيع
اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشي منها فاسق وان كان قرشي النسب وقاروني
النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتين واحدهما نسيب يرجح بالنسب
عند الناس لا عند الله لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وشرف النسب
ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي **فصل** الحكمة في اختيار النسب من جملة
اسباب التفاخر ولم يذكر المال لان الامور التي يتفخر بها في الدنيا وان كانت
كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به
عليه والسن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل
لمن ليس له ذلك فاختاره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه
بطلان غيره بطريق الاولى فان قال اذا كان ورود الاية لبيان عدم الافتخار بغير
التقوى فما فائدة قوله تعالى انا خلقناكم فالجواب فائدته ان كل شي يترجح على غيره
فاما ان يرجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يرجح عليه
بامر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك
الشي واما الذي قبله فاما راجع الى اصله الذي وجد منه او الى الفاعل الذي
اوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل
فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بما خلقتكم منه لانكم كلكم من ذكر وانثى
ولا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله فان كان عندكم تفاوت فهو بامور
تحصل لكم بعد وجودكم واشرفها التقوى **قوله** وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعوب
جمع شعب بفتح الشين وهو اعلا طبقات الانساب مثل ربيعة ومضر والاوس
والخزرج وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة
والعمارة والبطن والفخذ في البطون وزاد بعض الناس بعد الفخذ العشيرة
فجعلها داخلة فيها فتكون الفصائل داخلة في العشيرة وتدخل العشيرة
في الافخاذ وتدخل الافخاذ في البطون والبطون في العماير والعماير في القبيلة
والقبيلة

والقبيلة في الشعب وذكر الاعم لانه اذهب بالافتخار وسمي الشعب شعبا
لتشعب القبائل منه واجتماعهم فيه كتشعب اغصان الشجرة والشعب من
الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعب القدح وشعب اي فرق والقبايل
وهي دون الشعوب واحدتها قبيلة وهي كبكر بن ربيعة وتميم بن مضر
سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبائل الراس وهي قطع متقابلة وقيل
الشعوب في العجم والقبائل في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعب
النسب الابعد والقبيلة الاقرب وانشد

قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

والمنسب الى الشعوب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب
ودون القبائل العماير واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان بن بكر
ودارم بن تميم ودون العماير البطون واحدتها بطن وهم كبني هاشم وامية
من بني لوي ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة وقال ابو روق
الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى اباهم **قوله** لتعارفوا
العامة على تخفيف التاء والاصل لتتعارفوا فحذف احدى التاءين والبزي بتشديدها
وقد تقدم ذلك في البقرة واللام متعلقة بجعلناكم وقرا الاعمش بتاءين وهو
الاصل الذي ادغمه البزي وحذفه الجمهور وابن عباس لتعرفوا مضارع عرف
فصل المعنى ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتفاخروا
وقال في اول الاية خلقناكم وقال هنا وجعلناكم شعوبا لان الخلق اصل
يتفرع عليه الجعل شعوبا لان الخلق والايجاد لاجل العبادة كما قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون والجعل شعوبا للتعارف والاصل متقدم على الفرع
فتعتبر العبادة قبل اعتبار النسب لان اعتبار الجعل شعوبا انما تحقق بعد
تحقق الخلق وفي هذا اشارة الى انه ان كان فيكم عبادة تعتبر والا فلا اعتبار
لانسابكم فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه السبيل
يهدي من يشا ويضل من يشا فالجواب ان الله تعالى اثبت لنا فيه كسبا
مبنيا على فعل لقوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال وما تشاون
الا ان يشا الله واما في النسب فلا **قوله** ان اكرمكم عند الله اتقاكم
اخبر تعالى ان ارفعكم منزلة عند الله اتقاكم قال قتادة في هذه الاية اكرم الكرم
التقوى والام اللوم الفجور وقال عليه الصلوة والسلام الحسب المال والكرم
التقوى قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن ابي
هريرة سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند
الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله
ابن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب
تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وقال
عليه الصلوة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم
فصل قرا العامة ان اكرمكم بكسر ان وابن عباس بفتحها فان جعلت
اللام لام الامر وفيه بعد اتضح ان يكون قوله ان اكرمكم بالفتح مفعول العرفان
اي اعرفوا ان يعرفوا ذلك وان جعلتها للعلة لم يظهر ان يكون مفعولا لانه لم يجعلهم
شعوبا وقبائل ليعرفوا ذلك فينبغي ان يجعل المفعول محذوفا واللام للعلة اي
لتعرفوا الحق لان اكرمكم **فصل** قال ابن الخطيب في المراد بالاية وجهان
الاول ان التقوى تفيد الاكرام والثاني ان الاكرام يورث التقوى كما يقال
المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر فان قيل التقوى من الاعمال
والعلم اشرف لقوله عليه الصلوة والسلام لفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد فالجواب ان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)